# الـفـلـسـفـة

## لطلبة الطور الثانوي في الجزائر

إعداد الأستاذ

نبيل
مسيعد

ثانوية محمد بونور ـ القل ـ سكيكدة

# المذهب العقلاني و المذهب التجريبي

إعداد الأستاذ : نبيل مسيعد
www.nabilmasad@yahoo.fr

**ما مصدر المعارف التي يحملها الانسان ؟ هل مصدرها العقل ام التجربة ؟ هل يمكن للعقل ان يستغني عن التجربة ؟ وهل للتجربة ان تستغني عن العقل ؟**

## المذهب العقلاني

1 ـ قد يشك احدهم في ان $5 + 3 + 2 = 10$

ـ يمكن توضيح الامر بان نقول له $5 + 5 = 10$

ـ و لكنه قد لا يطمءن الى تساوي الطرفين

ـ وهنا ينبغي ان نقول له $10 = 10$

ـ فهل يمكنه مواصلة طرح الاسئلة

ـ لا يمكنه لانه امام احد مبادئ العقل ونعني به مبدأ الهوية

ـ هل يمكن تعلمه بالخبرة و التجربة ؟

2 ـ المساويان لثالث متساويان . هل يمكن الشك في هذه الحقيقة ؟

ـ هل أخذت من التجربة ؟

3 ـ تنقل لك العين النجوم على أساس انها صغيرة ، فهل هي كذلك ؟ كيف عرفت انها كبيرة ؟

### التعليق

يتميز الانسان بعقله من دون سائر الحيوانات في كوكبنا ، ومجهز بحواس لها ما يماثلها عند الحيوانات وهذا لا يؤهلها ان تكون مصدر لمعرف الانسان ، ان المعرفة عند الانسان مصدرها العقل . اذن بعض المعارف التي

نحوزها يبدو انها لم تات عن طريق الحواس ، فهل يمكن العثور على طريق آخر تتكون من خلاله المعارف ؟

## مبادئ المذهب العقلي

العقلانية تيار له تاريخ طويل، وهي موقف لقطاع كبير من المفكرين، وقد بدأت كتيار فلسفي في الفلسفة اليونانية، مع سقراط، وأفلاطون. ولقد حاول بعض الفلاسفة المسلمين توظيف العقل للتعبير عن العقائد والأفكار الإسلامية وللدفاع عنها ضد المهاجمين لها، مثل الكندي والفارابي وابن سينا ، و فرقة المعتزلة ، الذين سعوا للتوفيق بين الدين الإسلامي والعقلانية اليونانية

وفي العصر الوسيط الأوربي كانت العقلانية تتحرك داخل الدين، ، وصار العقل خادما للاهوت المسيحي ، مثلما هو الحال عند أوغسطين (354-430 ) حيث وظف الفكر الفلسفي في تبرير العقائد المسيحية، والدفاع عنها ضد الشبهات والانتقادات.

وفي مطلع العصر الحديث، جاء ديكارت الذي يعده الكثيرون أبا للعقلانية الحديثة؛ لأنه انطلق من الفكر العقلاني الخالص كمقدمة أولى استنبط منها الحقائق اليقينية ، و سار على دربه ليبنتز و سبينوزا .

إن العقلانية مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية . ويخضع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.ويحاول المذهب إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدها من التجربة العملية الحياتية . يرفض الإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات. العقائد الدينية ، عند اصحاب هذا المذهب ، ينبغي أن تختبر بمعيار العقل .

تقوم العقلانية على القول بان وجود العقل شرط في إمكان التجربة ، أي ان المبادئ العقلية تنظم معطيات الحواس فنتمكن من ادراكها .و القول بان العقل قادر على ادراك الحقيقة والايمان به والسبب في ذلك ان قوانين العقل مطابقة لقوانين الاشياء الخارجية . وتقول بان العقائد الإيمانية مطابقة لاحكام العقل والعقل شرط ضروري وكافي لمعرفة الحقائق

الدينية . والإعراض عن العقائد الإيمانية التي لا يؤيدها العقل والدفاع عن الإيمان بأدلة عقلية .

ويرى أن المعرفة اليقينية لا بد أن تكون كلية بحيث تشمل القضية جميع الحالات الجزئية، و ضرورية بحيث تلزم النتائج عن المقدمات لزوماً ضرورياً.

وترى العقلانية الفلسفية أن الكلية والضرورة كصفتين منطقيتين للمعرفة الحقة لا يمكن أن تستنتجا من التجربة فقط، وأن عموميتها تستنتج من العقل نفسه إما من التصورات المفطورة في العقل (مثل نظرية الأفكار الفطرية عند ديكارت)، أو من التصورات الموجودة فقط في صورة الاستعدادات القبلية للعقل التي تمارس التجربة تأثيرها المنبه على ظهورها، لكن سمة الكلية المطلقة والضرورة المطلقة تعطى لها قبل التجريب الواقعي، وأحكام العقل والصور القبلية مستقلة بشكل مطلق عن التجربة . بهذا المعنى تقف "العقلانية" كفلسفة وكمنهج في مواجهة "التجريبية"

ويستند هؤلاء في دفاعهم على مذهبهم على كون العقل هو ميزة الإنسان الحقيقية وليست الحواس وهو قوة فطرية في الإنسان وهذا يسمح باتفاق الناس حول الحقائق التي تصدر عنها . ما داموا مشركين فيه . كما انه لا يمكن الاعتماد على الحواس لأنها كثيرا ما توقعنا في الخطأ . و تقدم لنا معطيات مشتتة ، والعقل ينظمها ويجمع شتاتها ، وهذه غاية البحث العلمي . بالإضافة الى هذا فالعقل اجله العديد من الفلاسفة ومن هؤلاء ديكارت الذي يرى أن العقل موزع بشكل عادل على الناس .

## مناقشة المذهب العقلي

لعل أبرز نقد يمكن تقديمه هو أن العقلانية كتيار في نظرية المعرفة لم تنتبه إلى أهمية التجربة في تكوين المعرفة ، وقد بالغت في البحث عن اليقين خارج التجربة ، وأغلب العقلانيين، لا سيما غير المعاصرين، نظروا إلى العقل باعتباره كيانا نهائيا ثابتا ومغلقا . ولا شك أن انغلاق العقل على ذاته يؤدي إلى الوقوع في الأوهام؛ إذ لا بد من مصادر أخرى للمعرفة مثل الواقع، والطبيعة، والوحي، والعلم التجريبي .

# المذهب التجريبي

هل تستطيع التجربة ان تنشئ في العقل المعاني و التصورات ؟ و هل لها القدرة على خلع صفة الصدق على ما تبدعه من معرفة ؟ وهل العلم في كل صوره يرتد الى التجربة ؟

**مبادئ المذهب التجريبي .**

التجريبية هي القول بان العالم المادي له وجود مستقل عن الإنسان وأفكاره ، وأنه موجود خارج الإنسان سواء أدركتاه أو لم ندركه بل موجود بغض النظر عن وجود الإنسان . وان كل معرفة تنشأ عن **الخبرة الحسية** التي تنقلها الحواس . فيرى هذا المذهب ان مظهر الشيء هو هو حقيقته، وأن ما نعرفه عن الأشياء هو تجسيد حقيقي لخصائصها الواقعية وبالتالي ، هناك تطابق بين التصورات العقلية والاشياء . ويقوم المذهب التجريبي على هذه المبادئ

- الانسان ياتي الى الوجود صفحة بيضاء
- اننا نعرف الملموس قبل المجرد
- مصدر المعرفة هو التجربة
- لا توجد مبادئ عقلية فطرية

يقول سبنسر إن ذلك ـ أي وجود أفكار فطرية ـ قد يكون صحيحا في الفرد ولكنه خطا بالنسبة للجنس كله أعني أن الإنسان كجنس قد أستمد هذه الصور الذهنية من العالم الخارجي ثم ورثها لأفراده وهنالك من يقول أن هذه الصور الذهنية أقنية فكرية أو عادات كونتها تدريجيا الإحساسات ثم المدركات الحسية فأصبح للإنسان بعد تكوينها القدرة على الإدراك الحسي والعقلي، ويقول هذا الفريق من المفكرين أن الذاكرة ( أي الصور الحسية المحفوظة في الذهن والتي جاءت من الخارج على مر الأيام ) هي التي تفسر الإحساسات التي تأتينا عن طريق الحواس المختلفة ،وهي التي تنظمها وتبوبها وتحولها الى مدركات حسية ثم تحول هذه المدركات الحسية الى أفكار فالذاكرة هي التي تسبب ما للعقل من وحدة وتماسك

و القول بان المبادئ العقلية فطرية يستلزم فطرية الألفاظ المعبرة عنها ان قلت النقيضان لا يجتمعان لا معنى لها إن لم نكن نملك فكرة فطرية عن كلمة النقيض ويجتمعان . و لو كانت مبادئ العقل فطرية

لتساوى الناس في معارفهم مثل تساويهم في الجوع والتنفس . ثم انه من فقد حاسة معينة فقد نوعا من المعرفة كما قال ارسطو من قبل كما ان طريق تعليم الأطفال تؤيد المذهب التجريبي ، لأنها تعتمد على الأمثلة الحسية كما في تعلم الحساب و الهندسة . لهذا قال هيوم :" لاشيئ من الافكار يستطيع ان يحقق لنفسه ظهورا في العقل ما لم يكن قد سبقته ومهدت له الطريق انطباعات مقابلة له "ومن ابرز ممثلي المذهب فرنسيس بيكون ـ جون لوك ـ دفيد هيوم .

### مناقشة المذهب التجريبي

ما يميز الإنسان عن الحيوان هو العقل ولو كانت الحواس هي مصدر المعرفة لتمكن الحيوان من اكتساب المعارف التى نجدها عند الإنسان. كما ان الحواس تخطئ انها تنقل لنا الأشياء مخالفة لحقيقتها .

## الفلسفة النقدية

مشكلة التعارض بين العقليين و التجريبيين اصابت الفلسفة في الصميم ، ولولا ايمانويل كانط اتقوضت اركان الفلسفة و انهارت ، فماذا عساه يفعل امام هذه المتناقضات ؟

تعود النزعة النقدية في الفلسفة إلى "سقراط" إذ وضع منهجا يتيح التمييز بين الحقيقة والباطل، فمهد الطريق للمعرفة الحقة بالقضاء على الفكرة الباطلة، ولذا قال: "إن النقد أساس المعرفة". أما الفلسفة النقدية في القرن الثامن عشر فتعد نتيجة للنزاع الطويل بين العقليين وعلى رأسهم ديكارت من جهة والتجريبيين وعلى رأسهم بيكون من جهة أخرى. فهي ليست بالتجريبية الخالصة ولا بالعقلية الخالصة، بل هي تأليف بين النزعتين. ويمثل فكر كانط جهد الذهن البشري للتوفيق بين هذين التيارين المتعارضين في الفلسفة.إذ حاول إزالة الخلاف بين النزعتين بتحديد دائرة لكل من العقل والتجربة ، سواء في المجال المعرفي او المجال الاخلاقي ، وكل ظروب المعرفة .

ميزت الفلسفة النقدية تمييزا دقيقا بين الظواهر العقلية السابقة على كل تجربة والظواهر التي تكتسب بالتجربة. بناءا على هذا التمييز، اعتبرت المبادئ العقلية السابقة على كل تجربة تدل على المبادئ الأولية أو الصور التي يضعها العقل ليشكل بها التجربة وليست كما أشار ديكارت تدل على طبائع بسيطة أو حقائق فطرية بديهية. فوجب الوصل بين العقل النظري والعقل العملي ، كما هو عند ايمانويل كانط ( 1724 ـ 1804) فالمعرفة ليست عقلية خالصة وليست تجريبية خالصة بل مزيج منها .

ان إدراك العالم الحسي يقتضي القول بمبادئ لا تستطيع التجربة أن تزودنا بها ، لأنها أولية سابقة على كل تجربة APRIORI وهي في نفس الوقت شرط في إدراك عالم التجربة. فالتجربة لوحدها لا تستطيع أن تزودنا بعلم حقيقي ، بل هناك معان أو مقولات تطبق على الظواهر فتجعل منها معارف ، وهو دور العقل حيث يسيطر على الطبيعة عن طريق ما يضفيه عليها من صور وقوالب فيلفها بحيث لا يستطيع أي جزء من التجربة الخروج عن هذه القوالب .

فإذا كان العقل يجيز الحكم بعدم شروق شمس الغد كما يقول هيوم فإنه لا يسمح بالقول ان 3 +2 لا تساوي 5 فهذه حقيقة مطلقة ، في غنى تام عن التجربة ولكن كيف حصلنا عليها إن لم نأخذها بالحواس من التجربة ؟ وهنا وصل كانط إلى القول بأنها مستمدة من تركيبة العقل الفطرية التي تحتوي على مقولات أو الأصول المنطقية للمعرفة ، وخاصة مقولتي المكان والزمان وهما فكرتان قبليتان ، لا يمكن فهم ما تنقله لنا الحواس الا اذا اخذت في إطار المكان (جهة معينة ) أو الزمان ( قبل ، بعد ....) فوصل من خلال تحليله هذا الى ما يسمى بالاصول المنطقية للمعرفة او ما يعرف بالمقولات انه يقر بوجود الاشياء في العالم الخارجي ووجودها مستقل عن عن الذات الا ان معرفتنا للاشياء الخارجية تستوجب تدخل العقل بمقولاته التي فطر عليها . فيكون للمعرفة جانبين جانب مصدره العقل لان الخبرة الحسية التي نحصل عليها تكون ليست لها معنى إلا إذا أخذناها على شكل مقولة فتكون المعرفة بهذا الشكل حسية وعقلية في نفس الوقت .

ومنه المعرفة عند كانط حسية عقلية ولهذا قال :" المفاهيم بدون حدوس حسية تظل جوفاء و الحدوس الحسية بدون مفاهيم تبقى عمياء" فرفض مثالية افلاطون وباركلي ورفض واقعية توماس ريد ، فوضع حدود

للحواس كما وضع حدود للعقل وبالتالي المعرفة عنده لها حدود تقف عندها .

## مناقشة الفلسفة النقدية

مايؤخذ على كانط هو الربط بين المقولات ومعطيات الحس بحيث عندما ندرك الاول ندرك الثاني والمقولات اذا اعوزتها المعطيات الحسية بقيت جوفاء والمعطيات الحسية اذ فقدت المقولات بقيت عمياء وهنا نتساءل عن الهدف من من القول بوجود افكار فطرية مفارقة للاشياء وهما على هذا الارتباط .

ولكن أعظم ما وصل اليه كانط هو ما ذكره عن الإنسان ، لا يعلم عن العالم الخارجي الا مايأتيه عن طريق الحواس وأن العقل ليس مجرد صفحة بيضاء عاجز عن العمل وضحية للحواس ولكنه وكيل إيجابي يقوم باختيار وإعادة بناء التجربة عندما تصل إليه

# خاتمة حل المشكلة

ينبغي النظر الى المذهب الفلسفي في السياق الذي وضع فيه ومن تم تجد ان كلا المذهبين لم يجانب الصواب ولكن يمكن تجاوزهما الى التركيب بينهما كما راينا ذلك الفلسفة النقدية.